

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه

من الدكتور مصطفى بورشاشن
مجموعة 03، رقم 76، حي السعادة
سيدي يحيى الغرب

إلى فضيلة الأستاذ الكبير

السيد إبراهيم الهلالي

المدير المسؤول لمجلة جامعة ابن يوسف الغراء

6، زنقة مكة المكرمة حي الزاهية شارع الأمير مولاي عبد الله، مراكش
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فإنه لمن دواعي شرفي واعتزازي أن أبعث إلى شخصكم الكريم بهذا الخطاب مشفوعا ببحث علمي أثير عندي وأطمع أن يجد مكانه ضمن هذه المقالات العلمية الرفيعة التي تتحف بها مجلة ابن يوسف قراءها الأعزاء. ولا أكتممكم أيها السيد الكريم إعجابي بهذه المجهودات المحمودة التي تقومون بها معية هذه الثلة من جلة علماء مراكش لإعادة جامعة ابن يوسف إلى سابق عهدها ولبعث روح ثقافية وعلمية قوية في هذه المدينة العتيقة.

أعانكم الله تعالى وسدد خطاكم على درب الفكر والإخلاص للعلم وجعلكم نبراسا للباحثين ودعما لكل نسمة خير في هذا البلد الأمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. مصطفى بورشاشن

ملخص عن البحث

يعتبر مخطوط " وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي " لابن رشيد الفهري السبتي المغربي شرحا لـ " كتاب القوافي " للإمام حازم القرطاجني التونسي.

أما موضوعه الرئيسي فهو علم القافية ، حيث قدم تعريفا دقيقا للقافية، مع ذكر مسهب بالشرح والتحليل والشواهد المناسبة لصورها الخمسة من متكأوسة ومتراكبة ومتدأركة و متواترة و مترادفة، ولمصطلحي الإطلاق والتقييد، وأحرف الروي وأركأأها ، وأحرف وأأركأات التي تتقدمها ، وأحرف التي تتأخر عنها . كما تم التطرق لعيوب القافية، وألملة من الإطلاقات الأأرى والأسماء المختلفة لبعض عيوبها . وأتم بتفصيل الأوصال الأصلية والأوصل غير الأصلية .

وقد قدمنا وصفا للمخطوط، وبيننا قيمته العلمية . وبعد الترجمة لابن رشيد السبتي قدمنا تحليلا موسعا لمضمون المخطوط موضحين طريقة صاحبه في الشرح . و ذيلنا البحث بالمصادر التي اعتمدها المؤلف في كتابه .

والله ولي التوفيق

التعريف بمخطوط :

**" وصل القوادم بالخوافي
في ذكر أمثلة القوافي "
لابن رشيد السبتي**

د. مصطفى بورشاشن .

" أرم نفسك من التدبير ، فما قام به غيرك عنك ،

لا تقم به لنفسك "

تاج الدين بن عطاء الله السكندري

يكتسي مخطوط "وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي" لابن رشيد
الفهري السبتي قيمته العلمية لاعتبارين أساسيين :

أولها، أنه نص تراثي ينتمي إلى الغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري
حيث تعتبر هذه الفترة قمة في العطاء الفكري والنقدي والفلسفي .

ثانيها، أن مخطوط ابن رشيد في أصله شرح لكتاب القوافي⁽¹⁾ للإمام
حازم القرطاجني الذي يعتبر فحلا من فحول البلاغة العربية المؤسسة على النظرية
الحكمية الفلسفية مما يعطي نفسا جديدا لعلم القوافي، ويحيل على نظرية التناسب
التي بنى عليها حازم القرطاجني مفهومه للإيقاع العربي⁽²⁾

أما إضافة ابن رشيد الفهري في شرحه ، فتكمن في تفصيل مجمله ، وتقييد
شوارده، وتبيين مشكله. وقد أفصح ابن رشيد عن ذلك وبرز فيه، بعلمه المتفجر،
وبيانه الأسيل، ومعرفته العميقة بالعربية والعروض والقافية .

والغرض من هذا القول هو تعريف جمهور الباحثين بهذا المخطوط القيم
انطلاقا من الخطوات التالية :

(1) = يعد الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة أول من أشار إلى " كتاب القوافي " : الذي ظفر به مع نص كتاب (منهاج
البلغاء و سراج الأدباء) وقد نص على أنه لا يعدو ثلاث ورقات . كما نبه إلى ما ذكره القرني في " أزهار الرياض " ج 3
ص 350 من قيام ابن رشيد السبتي لشرح "كتاب القوافي" لحازم القرطاجني ، انظر (منهاج البلقاء و سراج الأدباء)
لحازم القرطاجني تقديم و تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة تونس دار الكتب الشرقية 1996 ص 89 . و تجدر
الإشارة إلى أن د. علي لغزيوي قد قام بتحقيق " كتاب القوافي " وأخرجه تحت عنوان " الباقي من كتاب القوافي " ، كما
وعد بقيامه بإعداد تحقيق لكتاب " وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي " موضوع حديثنا . انظر : الباقي من
كتاب القوافي لأبي الحسن حازم القرطاجني تحقيق د.علي لغزيوي ط 1 سلسلة نصوص تراثية 1417 هـ . 1996 .

(2) = الباقي من كتاب القوافي ص20 .

1 - تعريف موجز بالمؤلف و دواعي تأليفه للكتاب .

2 - تقديم وصف للمخطوط .

3 - تعريف عام بمضامين المخطوط .

4 - المصادر المعتمدة عند ابن رشيد .

= 1 =

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، الخطيب، المحدث، الرحالة، المتبحر في علوم الرواية والإسناد. يعرف بابن رشيد مصغرا، ويلقب من الألقاب المشرقية بمحب الدين⁽³⁾. ولد بسبته سنة 657 هـ، و درس بها على يد الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع النحوي كتاب سيويه والقراءات السبع، ثم توسع في الأخذ عن غيره بإفريقية والأندلس. ورحل إلى المشرق، فزادت روايته اتساعا، وأدرك جلة من مشايخ مصر والشام والحجاز، فروى عنهم، وانقلب إلى بلاده يتفجر علما وأدبا، ويطاول الشيوخ، فضلا عن الأقران، بعلو روايته، وصحة سنده⁽⁴⁾ وأخبار ابن رشيد السبتي مبثوثة في أزيد من ثمانين مصدرا كما ذكر الدكتور أحمد حدادي⁽⁵⁾.

ويعد ابن رشيد السبتي من تلاميذ حازم القرطاجني، فلقد لقيه و أخذ عنه، وهو يؤكد ذلك في دواعي تأليفه لكتاب " وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي ". حيث يقول : " وقدر أن وقفت في حضرة تونس كالأها الله على

(3) = عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، العدد 18

(4) = المرجع السابق

(5) = أحمد حدادي، التعريف برحلة ابن رشيد، (رسائل جامعية) . المشكاة مجلة ثقافية العدد الثاني 1983 -

1403 وجدة - المغرب .

أنموذج فيها (يقصد علم القوافي) لشيخنا الإمام البليغ بحر الأدباء، وحبر البلغاء، أبي الحسن حازم بن محمد بن الحسن بن خلف بن حازم الأنصاري القرطاجني رحمه الله تعالى⁽⁶⁾. وهذا الأنموذج الطريف في علم القافية سلك به حازم القرطاجني، على عادته في صنع الخطاب النقدي، مسلك الوجازة والتكثيف شأن الفحول والكبار. فقد "ألع فيه للألعي بأصوها وألح للنقاب بفصوها، بيد أنه ترك جيدها عاطلا من حلي المثل، وكلل آياتها بأكتف الكلل"⁽⁷⁾.

وإذا كان حازم لم يترع أو يتزل إلى التمثيل، فإن ابن رشيد لا يرى الأمر على هذه الصورة، لأن "في المثل إيضاح للسالك وإفصاح بالمأخذ والمهالك"⁽⁸⁾. فعمل على تجلية الكتاب الموجز المكثفة مادته، بإيراد الأمثلة الموضحة، وأكثر من ذكر الشواهد الشعرية المعصدة، وفسر الدقائق بالرفائق، ونبه لمسائل من مهيع الموضوع وفنونه، وأفصح عن جملة من المسائل المشكلة، التي يضل فيها ويقع الزلل، بجميل من التنبيهات، والتذييلات، والتكميلات، والاستدراكات.

إن إعجاب ابن رشيد السبتي بكتاب حازم القرطاجني في القافية، لنفاسته واشتماله على كثير من مسائل هذا العلم، لا يعتبر الباعث الأوحد في شروعه في شرحه، فهناك باعث موضوعي أخرج الباعث الأول من القوة إلى الفعل، إذا نحن استعرنا العبارة الفلسفية الشهيرة، ويتمثل هذا الباعث في إلحاح قوي لأصدقاء الكاتب - الذين عز عليه مخالفتهم لما يحمله لهم من المودة والصحبة، ولا يقدر على مخالفتهم في أمر ألزموه به - الذين رغبوا في أن يقوم ابن رشيد بشرح كتاب القوافي لحازم القرطاجني، و تتميم ما نقص منه، و توضيح ما

(6) = مخطوط "وصل القوائد بالخوافي في ذكر أمثلة الخوافي" ورقة 194 و سياطي التعريف به في مكانه.

(7) = المصدر السابق ورقة 194

(8) = نفس المصدر والورقة

أشكل فيه ، مع تحليته بالشواهد الشعرية المناسبة ، و ذلك لما عرف عنه من باع عريض في علم الأدب والعربية و العروض و القافية ، فلم يجيب أملهم و لا رجاءهم .

ومن هنا جاء هذا الشرح الوافي ، لكتاب حازم في القوافي . يقول ابن رشيد الفهري: " فرغب مني بعض الأصدقاء الذين ألتزم حقهم ، و اعتقد في الصداقة صدقهم ، أن أطلع ما أفل من مثلها نجوما ، و أرصد لطوارق إجماعها رجوما ، مقفيا بذلك بتعبير ما أشكل ، و تتميم ما نقص ، فنقبت عنها في شعوب فكري ، فألفت أكثرها قد تفلت عن شرك ذكري ، فلفقت منها ما تيسر ، و لم ألو على ما تعسر ، لوجوب إجابتهم ، و تكرر رغبتهم . و أجبت بين خواطر شعاع ، و قواطع أنواع ، و فكر مقسم ، لا أستريح منه إلى أرج متنسم . وضمنته جملة الأصل ، و أتبعته فائدة الوصل ، و سميته " و صل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي " (9) .

-2-

يوجد مخطوط " و صل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي " ضمن مجموع ، بالخزانة العامة بالرباط - قسم الوثائق - تحت رقم د 3507 ، ومكروفلم 2392 . و هذا المجموع يتكون من أربعة متون :

- أولها ، مخطوط " التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن " لأبي محمد عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري (= ابن الزملكاني) .

- ثانيها ، " التنبيهات على ما في التبيان من التموهيات " لأبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي .

(9) = المصدر السابق ورقة 195

- ثالثها ، " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " للفخر الرازي ، و هو مبتور في أوله .

- رابعها ، و هو مخطوطنا الذي يختم به هذا المجموع .

إن مخطوط " وصل القوادم بالخوافي ... " لابن رشيد يقع في خمس وأربعين صفحة من الحجم الكبير ، و مكتوب بخط مغربي عتيق⁽¹⁰⁾ ، و تحتوي كل صفحة على تسعة و عشرين سطرا ، وفي صفحة المخطوط الأولى نجد اثني عشر سطرا مخروم الأواخر نتيجة المزق الذي اعتري جزءا من الجانب الأيسر من أعلى الصفحة. كما نجد في أخريات صفحات المخطوط تلاشيا في جوانبه أثر على بعض الكلمات و جوانب الأسطر. و كل هذا يهون أمام البتر الذي تعرض له هذا المخطوط النفيس ، حيث نلاحظ وجود بتر ما بين ورقتي 208 - 209 ، كما أن المخطوط مخروم الآخر.

- 3 -

استهل ابن رشيد الفهري السبتي مقدمة كتابه " وصل القوادم بالخوافي .. " بالحديث عن قيمة الشعر وأهميته ، و أنه مجمع الحكم و ذبوان العرب ، وأن الألسنة تعذب بتعلمه ، كما تزداد بفضل المعرفة باللغة و البلاغة ، و لهذا فقد " كان اعتناء الناس بالمنظوم و عطف عنايتهم أكثر من المنثور ، حتى حدسوا محفوظ المنظوم بتسعة أعشاره ، و متروكه بعشره ، و محفوظ المنثور ومتروكه بعكسه ، و كان منه علم القوافي بجزلة القوادم والخوافي"⁽¹¹⁾ و القوادم من قوادم الطير وهي مقاديم ريشه، وهي عشر في كل جناح ، أما الخوافي فهي دون الريشات العشر من

(10) = - محمد بن شريفة ، مقدمة " التنبيهات على ما في التبيان من الترميزات " لأحمد بن عميرة ط 1412-

1991 دون ذكر دار النشر ص 44 .

(11) = مخطوط وصل القوادم .. ورقة 194.

مقدمة الجناح⁽¹²⁾. وتجدر الإشارة إلى أن ابن رشيد وسم كتابه بهذا الاسم للإشارة إلى أن أصول حازم في كتابه القوافي تعتبر الأساس الذي اعتمده ابن رشيد في بناء كتابه ، إلا أن بماء هذه الأصول لا يظهر إلا بشرح هذا الأخير ذلك أن الكتاب يعتمد كلام حازم الذي يعتبر أصلا ، و هي القوادم ، ثم شرح ابن رشيد الذي يعتبر وصلا ، وهي التي أشار إليها بالخوافي .

وحازم القرطاجني في كتابه القوافي أراد أن يبين شروط وأحكام القوافي بطريقته المتميزة التي تهج التكثيف والتلخيص والبيان ، في حين نجد ابن رشيد السبتي قد جرى في شرحه الذي يفصل مجمل كتاب حازم على طريقة معهودة متبعة بانتظام، فهو يأتي بكلام لحازم القرطاجني تحت عنوان "أصل"، وهي عبارة موجزة و معبرة ، يتبعها بعنوان " وصل "، وهو كلام ابن رشيد المفسر والموضح بالأمثلة والشواهد الشعرية، تتخلله في بعض الأحيان نكات، وتنبيهات، وتذييلات، وتكملات.

هذا، وسأنتهج في عرض مضمون المخطوط أسلوبين مختلفين ، أسلوبا مفصلا ، أحاول أن ألتصق بالأجزاء الأولى من المخطوط ، متقصيا طريقة شرح ابن رشيد لأقدم عرضا وافيا لمنطوقه. ثم سأعدل عن ذلك متخذًا أسلوبا مجملا في عرض التفاصيل العامة لمضامين بقية المخطوط.

بعد الخطبة الموجزة لحازم القرطاجني ودعائه للإمام المستنصر بالله أبي عبد الله⁽¹³⁾ يبدأ المخطوط بتعريف القافية . (أصل) يقول حازم القرطاجني : إن القافية في اصطلاح المحققين من أصحاب علم القوافي هي الأجزاء المتطرفة من ييوت

(12) = المختار من صحاح اللغة : مادة قدم ومادة خفي.

(13) = لقد خالط حازم من الأمراء الرشيد الموحيدي وأبا زكرياء الحفصي و ابنه المستنصر والواثق ، و كان المستنصر يقدر حازما ويثق به . انظر منهاج البلغاء ص 60 .

الشعر، التي وضعت الحركات و السكنات و الحروف الهوائية فيها وضعا متحاذي المراتب⁽¹⁴⁾. (وصل) في هذا الوصل يبدأ شرح ابن رشيد على كلام حازم ، حيث يوضح أن القافية هي موضوع علم أهل القوافي الذي يتكلمون في عوارضه ولوازمه ، و قد أطلقها العرب بضروب من التوسع معروفة في أماكنها . ثم يرجع ابن رشيد إلى بيان كلام حازم القرطاجني فيقول : إنه أدخل بقوله : " الحركات والسكنات " المجرد و غيره، ثم حد بقول : "والحروف الهوائية " المؤسس والمردف، والقوافي منحصرة فيهما ، لأنها إما مجردة أو غير مجردة ، و أخرج حازم بقوله: " متحاذي المراتب " ما لم يوضع كذلك من أجزاء البيت غير المتطرفة ، لأنها ليست موضوعة على التساوي فقط . بل و على التقارب أيضا. وأراد حازم بقوله : " المتطرفة " من آخر البيت، ويرى ابن رشيد أنه كان الأولى أن ينص على ذلك، كما أن حازما لم يرد بقوله: " الأجزاء المتطرفة " مصطلح العروضيين لأن العروضيين يخصصون اسم الجزء بجزء التفعيل وهذا في علم القافية لا يعتبر، لأن القافية قد تكون بعض جزء، وقد تكون من جزئين. و يجيب ابن رشيد الفهري عن تساؤل مفاده أن هذا الحد ليس بجامع، لأنه تخرج منه قواف لم توضع متحاذيات الحركات والسكنات ، كجمع المتكاوس مع المتراكب والمتدارك في الشعر الواحد، فيجب موضحا أن حازما القرطاجني قصد حد ماهية القافية، بالنظر إلى الأصل مجردة عن عوارض العلل والزحاف .

ولا يعترض بوجود هذه المناسبة أو بعضها بحق الأصل في سائر البيت لأن قول حازم : "الحركات والسكنات والحروف الهوائية " قيود ثوان محمولة على موضوع القيود الأول، و هي قوله : " الأجزاء المتطرفة " فلا تدخل غير المتطرفة وإن شاركتها في وجود بعض تلك الأوصاف فيها بحق الأصل . على أن قول

(14) = وصل القوامد.. 195. والباقي من كتاب القوافي : 36

حازم : " الحروف الهوائية " كاف في الإخراج لأن ذلك لا يلتزم إلا في القافية إلا أنه لا يعم جميع القوافي إذ تخرج عنه المجردة .

ويقف ابن رشيد على (تنبيه)⁽¹⁵⁾ مهم ، وهو أن الأولى بحازم القرطاجني أن يقول : " أو الحروف الهوائية " ، لأن ظاهر التشريك بالواو مؤذن بالجمع ، وأنها لا تكون قافية حتى يجمع ذلك التحاذي كله ، ويرى ابن رشيد أن الأمر ليس كذلك . (أصل) لتساوق المقاطع الشعرية بالاتفاق في جميع ذلك تساوقا واحدا ، و تطرد اطرادا متناسبا⁽¹⁶⁾ . (وصل) يرى ابن رشيد أنه إن لم يكن ذكر السبب الموجب لجعل هذه الأشياء متحاذيات المراتب في الحد من الضروريات ، فهو من التتمات والتكمالات . (أصل) وهي مقطع البيت الذي طرفاه ساكنان ليس بينهما ساكن ، أو الذي جملته ساكنان⁽¹⁷⁾ (وصل) يرى ابن رشيد أن حازما شفع الحد الأول بثان أوجز لفظا منه ، إلا أنه استعمل فيه "أو" وهي مهجورة في الحدود ، إلا أن ابن رشيد يرى أن الذي حمل حازما القرطاجني على ذلك أنه جعل مدلول قوله : " الذي طرفه ساكنان " كمدلول قوله : " الحروف المتحركة في المقطع التي أحاط بها ساكنان ليس بينهما ساكن " ، فلم يعم لهما جميع القوافي، وإنما تضمن أنواعا منها ، فأتى بأو المتنوعة ، لتدخل الأنواع الخارجة عنه، ويرى ابن رشيد أنه كان يمكن الاكتفاء بقوله: "الذي طرفاه ساكنان" إذ ليس من لوازم الطرفين أن يكون بينهما واسطة ، إذ قد تكون الماهية مركبة من شيئين لا وسط بينهما . فكل واحد منهما طرف، فوجود الوسط ليس بلازم ، لكن لما كان حيث يوجد داخلا في حقيقة القافية، وكان أكثرها أتى بأو .

(15) = وصل القوام 196..

(16) = وصل القوام 196. الباقي : 36.

(17) = وصل القوام 196 ، الباقي : 36

(تنكية)⁽¹⁸⁾ يرى ابن رشيد أن قول حازم : " ليس بينهما ساكن " حشو، لأنه إذا دخل بينهما ساكن فذلك الساكن الثاني هو الطرف الذي يعتد به في القافية لا الذي قبله ، و لهذا فالأولى في رأي ابن رشيد أن يقول حازم القرطاجني: " و هو مقطع البيت الذي طرفاه ساكنان متصلان أو يليهما فاصل " ، ولا يحتاج أن يقول : " فاصل متحرك " ، لأن الفاصل إن فرض ساكنا عاد الكلام فيه على أنه متعذر . و يورد ابن رشيد قول شيخه أبي الحسن علي بن محمد الكتامي التلمساني : " إن القافية من آخر ساكن في البيت إلى أول ساكن يليه " يعني على العكس، و يقول : " هذا هو مذهب سيويه " . و يرى ابن رشيد أن هذا الذي عزاه إلى سيويه لا يعرف من أين نقله ، ورغم أن الشيخ أبا الحسن الكتامي ثقة ، مسلم له في هذا العلم ، و قوله حجة ، إلا أن الأصل أنه لا يصح عن سيويه شيء إلا ما في " الكتاب " . وهي شهادة على نفي ، و حكمها معلوم.

أما ما ذهب إليه الأخفش من أن القافية آخر كلمة في البيت ، فإن ابن رشيد يرى أن هذا المذهب متساهل فيه غاية التساهل ، و أنه من حيث الاصطلاح غير سديد، و كما عاب على الأخفش عاب كذلك على الفراء و قطرب ، اللذين ذهبا إلى أن القافية هي الروي الذي يبنى عليه الشعر ، وجعلهما مترادفين ، ثم يعرج على قول ابن كيسان : " إن القافية كل ما يلزم إعادته آخر البيت " . و نقل أيضا عن أبي موسى الحامض ، يعني من حركات وسكنات و متحركات وسواكن لا بعينها ، أو بعينها في بعض المواضع كالتأسيس والردف والوصل .

(18) = وصل القوام : 197 .

ويرى ابن رشيد أن ابن كيسان هو الذي قصد أن يحد القافية الصناعية لأن ما يلزم و ما لا يلزم هو الذي يتكلم فيه صاحب هذا العلم . وقد ألح في هذا الحد بالمذهب المنسوب إلى سيبويه من بعض الوجوه لأن أقصى ابتداء اللزوم في آخر الأبيات من الساكن الذي لا يأتي بعده إلا ساكن واحد فقط أو مع الحركة التي قبله في المردف و المؤسس .

(أصل) والمتحرك الذي قبل الساكن الأول من جميع هذه القوافي يعد من القافية⁽¹⁹⁾ (وصل) وقد قدم ابن رشيد هذا الفصل لأنه أحق بالتقديم لتناسق الكلام . أما هذا الذي زاده حازم في الحد فهو مذهب مؤصل هذه الصناعة الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وإليه ذهب الجرمي ، و نقل عنهم أيضا الحركة دون الحرف ، لأنه إنما يلزم إعادة الحركة لا المتحرك . و قول الخليل هذا مع ما عزي إلى سيبويه أسلم الأقوال ، لأنهما حدا ما يسمى قافية في رأيهما لا ما يلزم ، و ذكر ابن رشيد أن بعض النظائر - و لم يسمهم - تأول كلامهما أنهما أرادا أن القافية هذا موضعها ، لا أنهما أخبرا عن حقيقتها لما يلزم من إدخال ما ليس من القافية فيها مما لا يلتزم ، ويرى ابن رشيد أن هذا القول يضعفه أن الظاهر قصدهما لحد القافية ، وإلا فيكونان قد تركا المهم و أتيا بغير المهم ، و يرى ابن رشيد أن ابن جني قد عالج هذه المذاهب و حججها في " المعرب في شرح القوافي " ونبه إلى ضرورة الرجوع إليه . وقد أطلقت القافية على القصيد كله ، وعلى البيت الواحد ، وعلى كلمتين من آخره ، و على كلمة ، وعلى رويه تسمية للشيء ببعضه أو ملازمه ، و مع هذا فلا يخلو من المسامحة ، لأنه إن حذف ذكر المتحرك أو الحركة مطلقا من حد القافية نقص الحدو والرس ، ولا خفاء أنهما مما يتكلم فيه صاحب علم القافية ، وأنه من موضوعه .

(19) = هذا الذي ذكر هنا تقدم في الأصل و الشرح . و كان حقه التأخير . وصل القوامد : 197 . الباقي 37

بعد هذا الشرح و البيان يأتي ابن رشيد بعنوان (تحقيق)⁽²⁰⁾ يبين فيه مدلول القافية لغة واصطلاحاً، فقد صح في نظره إطلاق العرب قافية ، و لابد لهذا الاسم من مسمى، ولما كان الأصل في الإطلاق الحقيقة وعدم الاشتراك ، فقد تعين ادعاء المجاز في بعضها ، وإن كان العلماء قد اختلفوا ما الأحق أن يصطلح عليه في الصناعة ؟ فإن ابن رشيد يرى أن القول ما قاله ابن كيسان .

والقافية مشتقة من قفا يقفون إذا تبع ، كأنها تقفون ما تقدم من أخواتها أو تكون فاعلة بمعنى مفعولة، أي لأن الشاعر يقفوها ، لأنها تجري في أول بيت ، ثم يتبعها الشاعر على السجدة.

بعد هذا يأتي ببيان ما أجمل بالأمثلة والشواهد الشعرية لكل من امرئ القيس و عمار الكلبي في المطلق والمقيد مؤيدا آراءه بكل من سيبويه، والخليل، والأخفش والفراء، وقطرب وابن كيسان . ولناخذ مثالا على ذلك قول امرئ القيس في المطلق⁽²¹⁾:

كأن عيون الوحش حول خبائنا *** و أرحلنا الجزع الذي لم يثقب

فعلى مذهب سيبويه القافية من القاف الأولى إلى ياء الإطلاق ، وكلاهما داخل في اسم القافية . وعند الخليل مع زيادة حركة التاء المثلثة التي قبل القاف . وعند الأخفش يثقب كلها قافية. وعند الفراء وقطرب الباء التي هي الروي. وعند ابن كيسان الروي مع الإطلاق وساكن ومتحرك قبلهما غير متعين.

وفي مأم⁽²²⁾ (الأصل) يأتي كلام حازم القرطاجني الذي يعطينا الصور الخمس للقافية ، حيث تزيد كل صورة على التي تليها حركة ، فالصورة الأولى

(20) = وصل القوام : 198

(21) = ديوان امرئ القيس دار صادر بيروت ص 70

(22) = وصل القوام 198=199. الباقي 37.

صورة قافية المتكاوس الخاصة بها، وهي أربعة متحركات بين ساكنين ،
والثانية صورة قافية المتراكب، و هي ثلاثة متحركات بين ساكنين، والثالثة صورة
قافية المتدارك ، و هي متحركان بين ساكنين ، و الرابعة صورة قافية المتواتر و هي
متحرك بين ساكنين ، والخامسة صورة قافية المترادف ، و هي ساكنان ليس بينهما
فاصل . وفي شرحه الذي يعنون ب (وصل) يرى أن أجناس صور القوافي كما
ذكر حازم خمسة، وهي متنوعة إلى تسعة أنواع : ثلاثة في المقيد : مجردة ، مردفة ،
مؤسسة، وستة في المطلق : ثلاثة بغير خروج مجردة ، مردفة ، مؤسسة ومثلها
بخروج . والمجرد ما تجرد من الردف والتأسيس . ووعد ابن رشيد بتفصيل الكلام
في بيان المطلق والمقيد والخروج . أما حروف القافية فمنحصرة في ستة ،
ويستشهد بقول الإمام النحوي ابن السراج في أحد أبياته الثلاثة التي ضمن الأول
حروف القافية، والثانية حركاتها، و الثالث عيوبها فقال :

الردف فالروي ثم الوصل والخروج والدخيل والتأسيس

وقد يزداد المتعدي والغالي فتكون حروفها ثمانية .

ثم يردف ابن رشيد ذكر أسماء و حروف و حركات القافية ، بتعريفها لغة
واصطلاحاً، فالردف من قولهم : ردفه إذا تبعه ، فهو مصدر سمي به ، فيكون
بمعنى ذي ردف ، أي ذو اتباع ، إما لأنه يتبع ما قبله من الأجزاء ، أو لأن
الشاعر يتبعه و يتقراه . ثم يستشهد بقول أبي العباس بن الحاج بأن تسميتهم إياه
ردفاً بالنقل من ردف الراكب كأنه ردف الروي .

والتأسيس من تأسيس البناء وأساسه ، وهو أصله ، فكأن الشاعر يجعله أصلاً يبنى
عليه ، ولا ينقصه . و الدخيل فغيل من الدخول ، وهو اسم الداخل أو المدخل بين
الروي والتأسيس . والروي من قولهم : روأه في الأمر، كأن الشاعر يروي به أي
يتدبره، و هو فعيل بمعنى مفعول . وحده أن يقال : " هو الحرف الذي يعاد في

مقطع كل بيت"، ولا يخلو عن مثله شعر أصلا . وهذا القيد الآخر يفصل الوصل و الخروج وغيرهما . والوصل الحرف الكائن عن إشباع حركة الروي . وسيفصل ابن رشيد الحديث فيه فيما بعد . أما الخروج فما يتولد عن هاء الوصل، مصدر خرج، فكأن الهاء لما تحركت وامتد بحركتها الصوت تولد عنها حرف مد ، فكان ذلك خروجا من حرف إلى حرف .

وقد فسر المصنف ألقاب القافية في سرد كلامه السابق ، فقافية المتكاوس لا تلزم ، وإنما نشأت عن وجود زحفين الخبن والطي . ويسمى اجتماعهما الخبل، وهي في اصطلاح العروضيين الفاصلة الكبرى، وتشارك معها قافية المتراكب والمتدارك في الشعر الواحد واشتقاقها من قولهم : تكاوست الإبل تكاوسا ، إذا ازدحمت على الماء ، لأنها ازدحمت فيها الحركات، وحاصل الكوس في اللغة تراكب واضطراب، وقد تكون أيضا من كاست الدابة ، إذا مشت على قوائم ثلاث ، وكذلك هي القافية تجتمع مع المتراكب والمتدارك ، فكان الشعر على ثلاثة قوائم ، واستشهد في قافية المتكاوس بثلاثة أبيات، بيتان لذي الرمة، وبيت لابن يزيد الأصبحي .

أما قافية المتراكب، فسميت بذلك لأنها تراكبت فيها أربعة أنواع، واحد في المقيد، وثلاثة في المطلق، أو لتراكب حركاتها دون اضطراب الكوس ، ويكون رويها مقيدا أو مطلقا . وقد استشهد في ذلك بأربعة أبيات ، واحد في المقيد والمجرد، و ثلاثة في المطلق ، بيت بغير خروج مجرد، وبالخروج مجرد ومؤسس .

وقافية المتدارك سميت بذلك لأنها تداركت الحركات فيها بعضها ببعض، أو لأنها تداركت أي زادت على المتراكب نوعا خامسا، فصارت خمسة أنواع : واحدا في المقيد، وأربعة في المطلق . واستشهد ابن رشيد على ذلك بأبيات من

الشعر، منها بيتان غير منسويين ، وثلاث أبيات لكل من امرئ القيس، وعمر بن أبي ربيعة ، وعروة بن أذينة.

وقافية المتواتر ، سميت بذلك لأن الحركة أتت فيها بين ساكنين ، فلم تتابع ، فكأنها فترت عن المتدارك فما فوقه ، ويمكن أن تسمى بذلك ، لأنها كثرت وتتابع فاستعمل مقيداً مجرداً أو مؤسساً واستشهد في ذلك ببيتين غير منسويين . والمطلقة مجردة و مردفة ، واستشهد ببيتين لكل من طرفة وذو الأصبع.

وقافية المترادف، سميت بذلك لأن أحد الساكنين ردف الآخر، وكأنه رديف ردف آخر، ولهذا لا تكون في الأمر العام إلا مقيدة مردفة . أما غير المردف، فقد سمع شيخه أبا الحسن الكتامي يقول : إنه قليل جداً، إلا أن ابن رشيد استشهد فيه ببيتين لنابغة بني شيبان ، و بستة أبيات أخرى غير منسوبة مؤكداً أنه كثير على عكس ما ذهب إليه شيخه .

بعد هذا الشرح الوافي ينتقل إلى أصل⁽²³⁾ من أصول حازم القرطاجني الذي يتابع كلامه في صور القوافي ، فكل صورة من هذه الصور إذا سكنت منها آخر المتحركات وقيدته بعد الإطلاق انتقلت إلى صورة ما يليها ، فإذا قيدت المتكاوسة صارت متراكبة، و إذا قيدت المتراكبة صارت متداركة، وإذا قيدت المتداركة صارت متواترة ، وإذا قيدت المتواترة صارت مترادفة ، وإذا أطلقت المقيدات تدرجت بخلاف هذا التدرج، فصارت المترادفة متواترة ، والمتواترة متداركة، والمتداركة متراكبة، والمتراكبة متكاوسة . ويعقب ابن رشيد في (وصله) على أن قول حازم : "وقيدته بعد الإطلاق " وكذلك قوله بعد : " وإذا قيدت وإذا أطلقت " فيه تساهل، وتخليصه أن يقول : إذا سكنت منها المتحركات الأواخر، وحذفت السواكن، انتقلت إلى صورة ما يليها، فإذا فعل ذلك في

(23) = وصل القوادم ... 201=202 . الباقي 38.

المتكاوسة صارت متراكبة، وإذا فعل في المتراكبة صارت متداركة، وإذا فعل في المتداركة صارت متواترة، وإذا فعل في المتواترة صارت مترادفة . وبالعكس تدرجت بخلاف هذا التدرج . ويرى ابن رشيد أنه لا يلزم من تسكين القافية أن تصبح مقيدة ، ولا من تحريكها أن تصبح مطلقة . أما ما يقيد من القوافي المطلقة ، وما يطلق من القوافي المقيدة ، فيرى أن هذا ليس موضعه .

ثم يذكر (أصل)⁽²⁴⁾ حازم الذي يتضمن صوراً أخرى تلحق النُصُور الخمس، التي جملة القوافي منحصرة فيها، وذلك من جهة ما يلتزم فيها من الحركات والحروف الهوائية، وغير الهوائية، لتأكد المناسبة الواقعة في وضع القافية و تعادل الكلم المطردة فيها، وتحاذي حركاتها وسكناتها بالمناسبة الواقعة بتمائل ما يطرد فيها من الحروف والحركات، وهي ثلاثة أصناف : حروف الروي وحركاتها، (والحروف والحركات التي تتقدمها ، والحروف)⁽²⁵⁾ والحركات التي تتأخر عنها . وفي (الوصل) يقرر ابن رشيد أنه قدم ذكر حروف الروي، و سيفصل القول في حركاتها والحروف والحركات التي تتأخر عنها، وبين ابن رشيد أن حازم ما قد ذكر ما يتأخر . وترك ما يتقدم، وكلاهما مما تدعو الضرورة إلى معرفته في هذا العلم ...

وهكذا نرى من خلال ما تقدم الطريقة التي يعرض بها ابن رشيد كلام حازم القرطاجني المختصر، وكيف يفسره ، ويفصله، ويذيله بالأمثلة، والشواهد الشعرية، بكل بيان ودقّة وإيجاز مرة ، وتفصيل أخرى حسب ما يقتضيه السياق ، و تدعو إليه الضرورة .

(24) = وصل القوام : 202 ، والباقي : 38=39.

(25) = سقطت من وصل القوام بالخوافي : 202 . لم ينبه المحقق على هذا السقط ، انظر الباقي من كتاب القوافي :

39=38.

وبعد هذا التوضيح لمنهجية ابن رشيد في شرحه، سنعرض مضامين المخطوط، دون التقيد ب (أصله) و(وصله)، بل سندكر ما قاله ابن رشيد معتمدين على تلخيص ما قال دون أن نخل بشيء منه

يتطرق ابن رشيد شارحا كلام حازم القرطاجني ، إلى أن التزام التماثل في حروف الروي واجب، وأحسن مواقعه أن تكون متطرفة في كلم وقعت متطرفة، في عبارات تامة .

ثم يسهب في الكلام عن لزوم ما لا يلزم ، ودور الحرف اللازم قبل الروي في القصيد، واستشهد في ذلك بأبيات عديدة لكل من الفزاري، وأبي بكر الصابوني، وتأبط شرا، و لشيخ هذه الطريقة أبي علاء المعري وغيرهم ، ثم تكلم على ضروب التضمن، وأتبعها بقضية الضرائر، وبسط القول فيها ، حتى إذا وصل إلى عيب السناد وأشكاله استشهد فيه بأكثر من عشرين بيتا . أما مسألة الردف فقد عقد العزم على أن يطيل فيها الكلام ، و استشهد فيها بكلام لسيبويه في (الكتاب) إلا أن مجمل ما تحدث عنه في هذه المسألة مبثور .

ثم تحدث عن المعاقبة و فسادها . وأشار إلى الإغرام إشارة موجزة ، وهو أن يتم الشاعر وزن البيت دون أن يكمل كلمة الروي ، وبعد ذلك تعرض للألفاظ . ومنها المتواطئ والمشارك، والمتباين والمترادف، والمشكل ، والمتشابه. فدرسها لغة واصطلاحا ، ثم خلص إلى معناها الاصطلاحي، ففصل فيه القول مستشهدا بعدة أبيات من الشعر . ولما وصل إلى حركات القوافي الست ، و هي الحذو و النفاذ ، والتوجيه ، والمجرى، والإشباع ، والرسييس، عاجلها لغة واصطلاحا مفصلا القول فيها، مستشهدا بعلماء اللغة وفقهاء القوافي، معربا عن رأيه الخاص بكل أصالة و موضوعية . ثم تطرق لعيوب القافية وهي الاقواء والاكفاء والايطاء والسناد والتضمن فحللها لغة ، وبحث في اشتقاقها، ثم خلص

إلى الجانب الاصطلاحي ، فعالج فيه كل عيب على حدة ، وتطرق بعد ذلك لجملة من الإطلاقات الأخرى والأسماء المختلفة لبعض عيوب القافية التي كتب فيها بعض علماء القافية كالإجازة التي أطلقها الخليل والإجازة التي رفع لواءها ابن سيده ، والاصراف الذي تحدث فيه ابن رشيق . وعالج هذه المصطلحات مقابل مصطلح الكفاء . وأبان أن لا مشاحة في الألفاظ ما دام المعنى واضحا .

وخلص بعد ذلك إلى ألف التأسيس، والردف، وحللها لغة ، وأوضح اصطلاحهما في علم القافية ، ليتطرق إلى سناد التأسيس، وسناد الردف ، وأوجه السنادات الأخرى .

وقد أطنب ابن رشيد في تفصيل الأوصال الأصلية ، وهي الألف والواو والياء ، ومتى تكون رويا ، ثم الأوصال غير الأصلية التي تكون طورا وصلا ، وطورا رويا مثل كافي الضمير والخطاب وتاء التانيث المتصلة بالفعل، وضمائر الجمع المنصوبة و المخفوضة

وقسم الهاءات إلى أربعة أقسام : أصل و إضمار و سكت و تانيث . وخلص في أمرها وتحليلها إلى قول جامع ، و هو أن كل هاء سكن ما قبلها في روي لا غير .

ودرس تنوين الترنم ، و قال إنه امتنع أن يكون رويا لأنه عوض عن حرف الإطلاق ، وليس لما ذكر من لينه، لأن التنوين نون كسائر النونات، و أخيرا عالج مصطلح الغلو، وهو تحريك الروي المقيد الذي قد استوفى آخر حرف منه التجزئة ، فلم يبق موضع للإطلاق وزيادة نون بعده .

ثم تطرق إلى مصطلح المتعدي ، وهو تحريك هاء الضمير الساكنة من القافية المقيدة . وختم المخطوط بذكر ضمائر الجمع المنصوبة والمخفوضة

المتصلة منها والمنفصلة متى تكون رويًا ، وبأن إعادة مثلها - الضمائر المنفصلة خاصة - يكون إبطاء.

وآخر المخطوط مبتور ، ولا نعلم مقدار البتر ، إلا أن ابن رشيد قد استوفى أحكام القافية بالدراسة والتحليل ، ولعل ظهور نسخة أخرى قد يحل هذا الإشكال.

-4-

إن أهم ما يطالعنا في مصادر ابن رشيد كثرتها، فهو يعتمد على الأصول التي قعدت لهذا العلم، ويعتمدها في تحليله ومناقشاته، كما يستنير بأقوال شيوخه وأساتذته، وسجل زملائه وأصحابه، بطريقة تجعل من كتابه ملتقى لمناقشات ناضجة، يتفاعل فيها القديم بالحديث بالمعاصرة وهو في كل هذا لا يعدم رأيه وأقواله الأصيلة ، واجتهاداته الطريفة التي لا يخفي عزوها لنفسه بكل فخر وتواضع، وسنعمد في إيراد مصادره على طريقة ورودها في الكتاب :

فالوها كتاب حازم القرطاجني في القوافي، الذي يعتمد في الشرح والتحليل والمناقشة . ثم يتلوه شيخه أبو الحسن علي بن محمد الكتامي التلمساني . ولعل أهم شخصية رافقت ابن رشيد هي سيبويه الذي يصرح بأنه " لا يصح عنه شيء إلا ما في الكتاب " ثم الأخفش في كتابه (القوافي)، والفراء، وابن كيسان في كتابه (تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها)، وأبو موسى الحامض، ومؤصل هذه الصناعة الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقطرب والجرمي، ثم ابن جني في (الخصائص) و(المعرب في شرح القوافي) والإمام النحوي أبو بكر محمد بن عبد الملك المعروف بابن السراج، وأبو العباس ابن الحاج، وثلعب، وأبو علي الفارسي في (الحجة) و(النوادر)، وأبو العلاء المعري في (اللزوميات)، والأعلم الشنتمري في (الحماسة)، وأبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري، والإمام أبو محمد ابن السيد البطليوسي، والكاتب أبو زيد الفازاري، وأبو عبد الله بن الأبار،

وأبو الحسن سهل بن مالك، وأبو علي الشلوين ، وأبو بكر ابن الصابوني،
والأديب النحوي أبو بكر القللوسي، وأبو بكر بن حبيش، وأبو الفضل ابن
النحوي، وابن الأعرابي، ومحمد بن عبد الرحمان الجعفري، وأبو بكر عاصم، وأبو
العباس المبرد في كتابه (القوافي وما اشتقت ألقابه منه)، وأبو علي القالي، وأبو
بكر النحوي المصري، والحاتمي في (الحلية)، وابن سيدة، وأبو عبيد، والشيخ أبو
الحسين ابن أبي الربيع ، والمقرئ النحوي أبو عبد الله ابن موسى السلوي، وأبو
عبد الله ابن عبد الملك ، والسهيلى، و الوزير أبو بكر ابن زهر، وابن المعتز،
والكسائي ، وأبو سعد إبراهيم المكي.

وهو في إيراد هؤلاء الأعلام يناقشهم مناقشة الند للند، ويقف على ما
أصابوا فيه من القول ويعيب عليهم إن خالفوا جادة الصواب، وكذلك يفعل مع
شيوخه الذين استشهد بهم مع احترامه لهم ، و تقديره إياهم ، فهو لا يتسامح في
مناقشة أي جزئية أخطأوا فيها، أو ذهبوا فيها على غير مذهب الأعلام الأقدمين ،
أما أصحابه ، فهو يورد آراءهم، وما تمخضت عنه مناقشاته معهم . وهو في ذكره
لا يترك واردة أو شاردة إلا قيدها، وأثبتها في كتابه الطريف هذا .